وانفجار العيون من الحجر بسببها وعن معانى معجزات عيسى عليه السلام وعن معنى جريان الماء عن أصابع سيدنا الرسول عليه السلام كما ورد فى الاحادث

الجواب

اعلم أيها الفاضل الماجد يسر الله لك الصعود الى أعلى الدرجات والوصول الى أسمى المقاصد أن الكتب السماوية . والكلمات النبوية . على سمو رفعتها . وعلو مكانتها . لاتخرج عن كونها الفاظاً وكلمات وعبارات واطلاقات تشتمل على المعانى الظاهرة الحقيقية . والاستعارات الخفية المعنوية . كما أن القلوب التى أنزلت عليها هذه الكلمات . والالسن التى نطقت بهذه العبارات . مع انها اعراش الهية . وتراجمة سماوية . لاتخرج عن كونها قلوباً بشرية . والسنة انسانية . وبعبارة أوضح . ان الانبياء عليهم السلام الذين أنزل عليهم

الكتب . لاشك انهم بشر مثل سائر افراد البشر وكانوا يتكلمون كما يتكلم سائر المتكلمين . ويعبرون عما أوحى اليهم كما يعبر عن ضمائرهم سائر المعبرين . فلا يمتنع عقلا أن تكون فى عباراتهم مجازات واستعارات . وكنايات وتشبيهات . كما يجوز أن تكون فيها تصريحات بلا تلويح وحقائق بلا تأويل فلذلك ترى كثيراً من أهل العلم حملوا العبارات الواردة فى الاخبار عن المعجزات على ظواهرها فاعتقدوا بأن العصا تحولت فى الظاهر حقيقة بالحية والاموات بالاحياء . وجرت المياه فى الحقيقة من أصابع سيدالانبياء . الى غيرها من عجائب الامور . وخوارق المقدور . وكثيراً من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بأن جميع ما ورد فى الكتب والاخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الامور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوّزه العقل المستقيم . ولا يمجه الذوق

السليم . ففسروا العصا بأمر الله وحكمه فان موسى عليه السلام بهذه العصا غلب على فرعون وجنوده ومحا حبائل عتوّه وجحوده وبهذه العصا ضرب الاسباط الاثنى عشر فلانت قلوبهم القاسية . وانشرحت صدورهم الضيقة . وتنورت أفئدتهم المظلمة . فانفجرت منها عيون العلم والحكمة . وانبجست منها ينابيع الفضل والرحمة . فصاروا ملوكا حكاماً وأئمة أعلاما بعد ما كانوا رعاة جهلة وعبيدا رزلة يسومهم الفراعنة سوء العذاب ويذيقونهم مرّ الشراب يستخدمون بناتهم ويقتلون أولادهم ويستعبدون رجالهم فكان بنو اسرائيل فى طى هذه البأساء وتحمل هذه الضراء كالاحجار التى لاحراك لها والاموات التى لاحياة لها لايجدون محيصاً من بلائهم ولا شافياً من أدوائهم فلما ظهر موسى عليه السلام وأعطاه الله الحكم والنبوّة وأمره بتخليص بنى اسرائيل

من ذل الاسر والعبودية فظهر من هذا الامر المعبر عنه بالعصا وعن الرسالة المعبرة عنها باليد البيضاء أثران باهران لاينكرهما خبير ولا يجهلهما بصير فانه محى أولاً كيد فرعون ومكره وجبر ثانياً حال الشعب وكسره وخلص القوم من ذل الاسر وأجلسهم على منصة الملك فجرى من تلك القلوب القاسية كالاحجار الصلدة عيون المعارف والعلم والحكمة فعلم كل أناس مشربهم وعرف كل سبط من الاسباط فى مدة الف وخمسمائة عام مسلكهم ومذهبهم . حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم وتفرقت كلمتهم وانفصمت عروتهم فقست وماتت قلوبهم وبرصت بالذل جباههم وجنوبهم فرجعوا من اسر الفراعنة الى اسر القياصرة وعن عبادة المصريين الى عبودية الرومانيين حينئذ طلعت شمس الحقيقة عن أفق بلاد الجليل وارتفعت نغمات الانجيل فأحيى الله تعالى بأنفاس عيسى عليه

السلام بعضا من تلك النفوس الميتة وبرّأ بيده
المباركة جملة من الجباه المبروصة وأنشأ الديانة
النصرانية . وغسل بها الاقطار الاروبية عن ادران
الوثنية . وتتابعت القرون ومضت الاعوام والسنون
الى أن بزغت شمس الهداية عن الاقطار العربية
وقام الرسول الكريم على انشاء الديانة الاسلامية
فاجرى الله تعالى من أصابعه المباركة ينابيع العلم
والحكمة الالهية . وأورقت وأزهرت وأثمرت
أغصان الهداية فى الممالك الشرقية . واستعدت
مشارق الارض ومغاربها للوصول الى نقطة
الاعتدال والبلوغ الى حد الكمال ونزول الرب
الموعود فى غمام الجلال فتتابعت الأدوار وانقضت
الاعصار . حتى طلع النهار وأشرق نور الانوار .
وزالت ظلمة الليل الاليل من جميع الاقطار والامر
لله الواحد القهار

(هذا) ونحن معشر الامة البهائية نعتقد بأن مظاهر

أمر الله ومهابط وحيه . هم بالحقيقة مظاهر جميع
اسمائه وصفاته . ومطالع شموس آياته وبيناته . لا
تظهر صفة من صفات الله تعالى فى الرتبة الاولية
الاّ منهم . ولا يمكن اثبات نعت من النعوت العالية
الجلالية والجمالية الا بهم . ولا يعقل ارجاع الضمائر
والاشارات فى نسبة الافعال الى الذات الا اليهم .
لان الذات الالهية والحقيقة الربانية غيب فى ذاتها .
متعال عن الاوصاف بحقيقتها . منزه عن النعوت
بكينونتها . لا تدركها العقول ولا تبلغ اليها الافهام
ولا تحويها الضمائر ولا تحيط بها المدارك فلا
توصف بوصف ولا تسمى باسم ولا تشار باشارة
ولا تتعين بارجاع ضمير لان منزع كل هذه هو
المدارك الحسية وهي فوق الادراك لان كل
مدرك محاط وكل محاط محدود وكل محدود ذو
وضع وهذا من صفات الجسم والجسمانيات . تعالت
عنه المجردات . فكيف الذات الالهية . والحقيقة

النورانية. فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويستند الى الله من العزة والعظمة والقدرة والقوة والعلم والحكمة والارادة والمشيئة وغيرها من الاوصاف والنعوت يرجع بالحقيقة الى مظاهر أمره. ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره وقد رقمت هذه المسألة من القلم الاعلى مبينة مفصلة فى الواح ربنا الابهى . وأظهر الله تعالى جواهر أسرارها فى الصحف المطهرة ببيانه الأحلى

فاذا تقرر ان مظاهر أمر الله تعالى هم مظاهر قدرته وقوته وارادته ومشيئته فلا يمتنع اذاً صدور المعجزات منهم. وظهور ما يعجز عن مثله غيرهم . بسبب كلية هذه النفس المقدسة المتجلية فيهم . كيف لا وهى شديد القوى . وروح الله النازل من السماء . والحقيقة المتعالية على الاشياء. القاهرة فوق كل موجود. الغالبة على ما فى الغيب والشهود.

فكما انه لا يتأتى من سائر انواع الحيوان ما يتأتى من الانسان بسبب كلية روح هذا بالنسبة لجزئية روح ذلك كذلك يتأتى من الانبياء مالا يتأتى من غيرهم بسبب ما أسلفنا من كلية روحهم واحاطة قدرتهم. وشدة قوتهم. وكما ان مايظهر من الانسان من عظائم الآثار وجلائل الاعمال . معجز لسائر أنواع الحيوان. بل تحسبه الحيوانات بالنسبة لقواها خارجاً عن الامكان . كذلك ما يظهر من الانبياء معجز لسائر أفراد البشر وخارق لعادات الخلق

ولعمر الحق لو يتدبر أولوا البصائر الكاشفة فيما ورد عن الانبياء والمرسلين من البشارات والانذارات فى الادوار التى تدور على أممهم من التقدم والوقوف والانحطاط وبيان مدة بقائهم وتعيين آجالهم. وما يطرأ عليهم من حسن أعمالهم أو سوء فعالهم . ليدركوا معنى كلية هذا الروح واحاطة هذه القوة. فان الكتب الالهية هى حقيقة

المائدة السماوية فيها ماتشتهيه الانفس • وتنشرح منه الصدور وتستلذ الاعين وتتنور منه القلوب فانظروا مثلا الى الرسالة الثانية لبطرس الرسول المعروف عند المسلمين بشمعون الصفاء أول من آمن بروح الله الذى نزل من السماء • وخليفته على عباده بعد صعوده الى الملإ الاعلى • فان هذا الرسول المجتبى • والامام المرتضى • أخبر فيها عن حالات الامة النصرانية • وما يؤل اليه أمر الامم المسيحية • بمالا يمكن ان تدركه العقول البشرية بالمدارك العالية العلمية • أو بالانظار الدقيقة السياسية او بالنباهة والفراسة السامية الانسانية • بل هو الوحى السماوى • والالهام الالهي • الذى عبرنا عنه باحاطة النفس وكلية الروح القدسى • ولولا ضيق المجال وتبلبل البال • من كثرة الاشغال • ومعاندة الانذال لشرحنا هذه الرسالة الكريمة للمتبصرين من الرجال • ليروا العجب العجاب • عما أودعه الله

فى الكتاب • وخصص بفهمه وادراكه أرباب الالباب . وكذلك ماورد فى القرآن المجيد من حالات الامة الاسلامية بجميع خصوصياتها وجزئياتها الى أن تنتهى بظهور الموعود • وتعيين ميعاد ظهوره ومنشأه وكيفية نشر أمره وبسط دعوته • مثلا اذا تدبروا فى هذه الآية الكريمة (فَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) ليروا ان فيها تعيين محل نزول الموعود • وتصريح بان نداء الرب تعالى ترتفع من الارض المقدسة أقرب الاراضى الى الاقطار العربية • وهى الجزء الغربى من البلاد السورية • الواقعة حول جبل القدس من أرياف البحر الابيض المتوسط بين آسيا والممالك الاروبية هذه هى الارض المقدسة البيضاء • والبقعة المنورة الفيحاء • معهد اللقاء • وقبلة الاصفياء • ومنشأ الانبياء • ومحل ارتفاع نداء الله بين

الارض والسماء

ومن المعلوم ان مملكة السورية وأرياف البحر الابيض أراض واسعة . وقطعة متسعة . وفيها بلاد شهيرة . ومدن عديدة . وقرى ومزارع كثيرة فبين النبي عليه السلام ان محل نزول الموعود هو مدينة عكاء . ومهبط هذا النور هو ذاك المرج المعروف فى تلك الارجاء . فمدح واطرأ هذه المدينة وأقطارها حتى ذكر في بياناته المباركة عيونها وآبارها وبشر ووعد بكل خير ساكنيها وزوّارها حيث قال عليه السلام (طوبى لمن رأى عكة) فاشتهر هذا الحديث الشريف حتى تمسك به اللغويون مثل صاحب الصحاح وغيره . فاستشهدوا به فى كتبهم . وصار كالامثال المرسلة فلهجت به الشعراء فى أشعارهم . ففصل النبى عليه السلام بهذا الحديث وكثير من أمثاله مما هو مدوّن فى كتب الاحاديث مجمل الآية الكريمة المذكورة وبينها أحسن تبيين

ونص على تعيين محل الظهور أحسن تنصيص . وصرح أجلى تصريح . وقد أخذه كبار الاولياء مصدراً لتفاصيل بشاراتهم . وصرحوا به فى خطبهم ومقالاتهم . أو فى كتبهم ومصنفاتهم . كامير المؤمنين علىّ بن أبي طالب من السابقين الاولين . وكالشيخ الكبير ابن العربى والشيخ كمال الدين محمد بن طلحة والسيد الشعرانى وكثير من أمثالهم من المتأخرين . ومما نقله الشيخ الشعرانى فى كتابه اليواقيت والجواهر فى المبحث الخامس والستين فى هذا المعنى مستخرجاً من الاحاديث والمصادر العليا قوله (يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكاء) وقوله فى وزراء المهدى . { ويقتلون كلهم الا واحد منهم ينزل فى مرج عكاء فى المأدبة الالهية التى جعلها الله مائدة للسباع والطيور والهوام } الى كثير من أمثال ذلك مما خبأه الله تعالى فى مكنون علمه وأودعه فى بطون

آيات القرآن . وصدّقه كرور الايام وتتابع الازمان وسوف يطبق ذكره الآفاق ويملأ صيته السبع الطباق . ولو أنصف المنكرون لماوراء الطبيعة . وتدبروا فى هذه الامور الدقيقة . لاعترفوا بان العقول البشرية لا يمكنها ان تدرك هذه الامور بشخصياتها وخصوصياتها قبل وقوعها . وان تخبر الناس عنها قبل تحققها . فكيف يمكن للمنصف الخبير والحالة هذه ان ينكر من مظاهر هذه الحقيقة المقدسة ومطالع هذه القوة الكلية المحيطة . ان يظهر منهم ما يحير العقول ويعجز النفوس ويدهش الالباب . ويأخذ بمجامع القلوب . فلا ينبغى لنا بسط الكلام اذا فى بيان صدور المعجزات الخاصة منهم وظهور خوارق العادات المخصوصة عنهم بل ينبغى لنا ان نتكلم فى بيان ماهية المعجزات وتقسيمها الى الآيات الاقتراحية . والآيات النازلة الكتابية وبيان مقدار دليلية كل قسم منها . بمعنى انه هل

للمقترحات دلالة على صدق الانبياء حتى تكون صفة لازمة لوجودهم . وآية لظهورهم وبرهاناً على صدق دعوتهم . ومثبتة لكلمتهم . أو ليست فيها هذه الدلالة فلا تكون صفة لازمة لهم . واجبة اظهارها عليهم . فلنتكلم فى هذه المسألة المعضلة ونتكلف تذليل صعوباتها ونخوض فى غمراتها . ونكشف عن مخبآتها . فانها لعمر الله مزلة القدم ومعركة آراء أهل العالم وبجهلها سقط كثير من الاولين . وحتم الهلاك على الغابرين

مقالة مخصوصة

﴿ فى بيان معنى المعجزات وأقسامها ﴾

(وبيان مقدار دليلية كل قسم منها)

اتفقت الامم على ان مظاهر أمر الله

والقائمين على تشريع دينه لابد أن يكون لهم سمة مخصوصة . وعلامة معلومة . تميزهم عن دونهم . وتفرزهم عن غيرهم لتكون شاهداً لهم . ودليلا اليهم . وبرهاناً على حقيتهم . وحجة لتصديقهم . والامم الاولى الى زمان ظهور سيدنا الرسول عليه السلام كانوا يعبرون عن هذه العلامة بالآية والآية لغة هي العلامة فكانوا اذا ادعى مدع انه رسول من الله يسألونه عن آية ترشدهم الى صدق قوله وتثبت حقية ادعائه . كما ورد فى انجيل متى فى الاصحاح الثانى عشر أن قوماً من الكتبة والفريسيين سألوا عيسى عليه السلام ان يريهم آية فأجابهم ان الجيل الفاسق الشرير يطلب الآيات ولا يعطى آية الا آية يونس النبي . وفى الاصحاح السادس عشر منه انه جاء اليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه ان يريهم آية من السماء فأجابهم قائلا اذا كان المساء قلتم صحو لان

السماء محمرة وبالغداة اليوم مطر لان السماء محمرة كالحة . أفتعلمون ان تميزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لاتستطيعون ان تعرفوها . إن الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ولا يعطى آية الا آية يونس النبي ثم تركهم ومضى . ومعنى الجميع ان علماء اليهود كانوا يطلبون منه على سبيل الامتحان ان يريهم معجزة فأجابهم عليه السلام بما سنوضحه فيما يأتى من الكلام. وجاء فى القرآن الشريف نقلاً عن قريش وغيرهم فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وقوله تعالى { لَوْلاَ يَأْتِنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ } الى كثير من أمثالها مما يثبت ان الفاظ المعجزة أو خارق العادة أو الكرامة وأمثالها مستحدثة من مصطلحات المتأخرين . ولم يكن لها ذكر عند الاولين . وعلماء النصارى بعد انتشار ديانة سيدنا عيسى عليه السلام وثبوت كلمته بدلوا لفظ الآيات بالعجائب ولعلها مأخوذة من مصطلحات ديانة

الصابئة التى كانت ديانة أهالى أوربا وافريقياوآسيا ماعدا الهنود والصينيين قبل ظهور موسى وعيسى وسيدنا الرسول عليهم السلام . فان بعض الآثار العتيقة المصرية المحفوظة فى متحفها الشهيرة ترجمت أيام اقامتى فى مصر تدل على ان المصريين فى زمان الفراعنة كانوا يعبرون عن الامور الخارقة للعادة بالعجائب . وأما علماء الاسلام أى المتقدمين منهم لما رأوا ان الله تعالى أمر النبي عليه السلام بأن يستدل على صدق ادعائه بالقرآن الكريم وعبر عن عباراته بآيات الكتاب والقوم كانوا يطلبون منه آية غيره ورأوا أن الآيات مختلفة بحسب مفاهيمها وآثارها قسموها الى قسمين كما يظهر جلياً من التفاسير

{ القسم الاول } الآيات الكتابية أى الوحى السماوى وهو عبارة عن الحقائق والمعانى التى نزلت بوساطة الروح الامين . على

قلوب الانبياء والمرسلين . ثم ظهرت على هيأة الكلمات من السنتهم وتجلت فى قوالب الالفاظ والعبارات من أفواههم . وتلك المعانى والالفاظ الدالة عليها حادثة عند الشيعة . فالمعانى عندهم علوم الهية لدنية غير تحصيلية . والالفاظ الدالة عليها هى الكلام الالهى ولا يعقل عندهم كلام غيره . اذ الكلام كما هو معلوم لدى أهله ليس الا عبارة عن مجموع الفاظ موضوعة حاصلة من الاصوات والاصوات كما هو مقرر عند أهل العلم والحكمة ليست الا الكيفية الحاصلة من تموج الهواء المضغوط بين قارع ومقروع وليس ثمة كلام ثانى فلا يعقل الكلام النفسانى . والمعانى قديمة عند أهل السنة والجماعة وهى عندهم من صفات الله تعالى ويعبرون عنها بالكلام القديم وعندهم حدوث الالفاظ لا ينافى قدم المعانى المعبر عنها بالكلام النفسانى كما ان تبدل الاجسام وحدوثها

لا ينافى بقاء الارواح وثبوتها . اذ ليست هـذه الالفاظ الا دوالا على الكلمات النفسانية التى هي فى الحقيقة عبارة عن الحقائق القديمة الثابتة لذات الله تعالى وهذه هى الآيات الالهيـة والكلمات السماوية كما أشير اليه فى الآيات القرآنية. ويعرف كلام الخالق عن كلام المخلوق بعلامات وامارات (العلامة الأولى) وهى أظهر العلامات وأعظمها ان ينسب ويعزى الى الله تعالى كما ورد فى المصحف المجيد (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) فانه ان كان كذباً ومختلقاً زهق من نفسه . ويبطل بذاته . وقد وعد الله تعالى فى سابق حكمه . وقديم أمره . باهلاك المتقوّل عليه . وابادة مايعزى بغير اذنه اليه . فلا يبقى الباطل الزاهق ولا ينجح مقصد الكاذب المختلق . (والعلامة الثانيـة) أن يكون قاهراً لمن يقاومه . وغالباً على من يغالبه . ونافذاً فى اذهاق مايخالفه . (والعلامـة

الثالثة) أن يكون مؤثراً فى ايجاد الامة . وبقاء الشريعة . ونفوذ الحكم وثبوت الكلمة . وهذه العلامة لاتعقل ولاتتبين الا اذا كان الكلام مشتملا على الشريعة الحديثة . والسنن والاحكام الجديدة. والا يعزى التشريع الى الرسول السابق والتأثير والنفوذ الى الكلمة القديمة . وقد تكفلت بيان العلامتين الاخيرتين هذه الآية الكريمة النازلة فى الكتاب المبين (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) ولكلام الله علامات أخرى من قبيل تأثيراته فى الامور الشخصية وبيان غوامض الآثار المودعة فى الصحف السابقة السماوية . ومزاياه الظاهرة اللفظية وغيرها مما يعرفه أهله . ضربنا عن ذكرها صفحاً رعاية للاختصار . لعدم الفرصة اللازمة للمسابقة فى ذلك المضمار . وفى ماقلناه كفاية لاهل الاستبصار

(والقسم الثانى) الآيات الاقتراحية .
وهى عبارة عن أمور غير ممكنة عادة تقترحها الامة أو بعض منها على مدّعى مقام النبوة أو الرسالة ويعلقون تصديقهم له على اظهارها ويجربونه باقتراحها من قبيل انطاق الاحجار . وطلب الاشجار . واجراء العيون والانهار . أو احياء الموتى وقلب العصا بالافعى . وانفلاق البحر بالعصا . وغيرها مما لايعد ولا يحصى . ولايشبع منه ولايروى . ومن خصائص الآيات الاقتراحية كما يستفاد من القرآن الشريف والانجيل المقدس انها جالبة للهلاك موجبة للدمار . لاتفيد اليقين والهداية لاهل الاستبصار . ولايطلبها ولا يقترحها الا الفسقة والاشرار كما سنوضح أسبابها لارباب النباهة والاعتبار . وفى القرون الوسطى أطلقوا لفظ المعجزة وخارق العادة على المعنى المستفاد من الآية مجازاً باعتبارانها تعجز الخلق عن الاتيان

بمثلها . وتخرق العوائد التى تعودت الامم على فعلها . حتى صارت حقيقة ثانوية . ثم قسمها المتأخرون تقسيما آخر فقالوا اذا صدر خارق من نفس قبل بعثها للنبوة يسمى هذا الخارق ارهاصا . واذا ظهر بعد البعثة مقارناً للتحدى والاحتجاج يسمى معجزة . ولا تعزى المعجزات الا الى الانبياء . واذا صدر هذا الخارق عن انسان بلاتحد وادعاء وتشريع واحتجاج يسمى كرامة وهى لاتعزى الا الى اولياء . واذا صدر الخارق من نفس خبيثة شيطانية يسمي سحراً واستدراجاً . وهذا هو المروى عن السحرة القدماء . ومن عرف الحقائق يمكنه أن يعرف مقدار تفاهة هذه المصطلحات . وبُعْد أصحابها عن معرفة حقائق الآيات والبينات فتم فيهم قول الرحمن (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) الا انه لايجوز لاهل العلم أن يضايقوا القوم فى مصطلحاتهم

ويشاحنوهم فى عباراتهم فقد قيل (لامشاحة فى المصطلحات) فلنترك القوم وآراءهم ونتكلم فى مقدار دليلية المعجزات وحجية خوارق العادات

ومن المعلوم أن الدليل والبرهان لابد أن يكون مرتبطاً مع المدلول والامر المبرهن والا لا يعد برهاناً ودليلا مهما كان مدهشاً وعجيباً . مثلا اذا ادعى أحد أنه طبيب عالم بفنون حفظ الصحة وعلاج الامراض واستدل على صحة دعواه بأنه يطير الى السماء فطار لايدل بالضرورة طيرانه الى السماء على كونه طبيباً . وان كان الطيران مدهشاً عجيباً . لانه ليس من صفات الفعل ولا رابطة بينه وبين موضوع الطب بل حفظ الصحة وابراء المرضى عن الامراض من صفات الفعل ودليل مرتبط على صحة الدعوى وصدق الادعاء. قال الاستاذ كرنيليوس فنديك الامريكانى فى الجزء الثامن من كتاب النقش فى الحجر وهو فى

المنطق (وبما أن الانسان معرّض للخطأ فى الامور العقلية يوافقه أن يستعين بآلة قانونية تعصمه من الخطأ وترشده الى الصحيح حتى لايحسب علة ماليس بعلة ولا نتيجة ماليس بنتيجة . ولا يبنى على أساس فاسد ولا يعد برهاناً ما ليس ببرهان . قال الامام الغزالى لو قال قائل أربعة أكثر من عشرة وأنا أبرهن ذلك باحالة هذه العصاحية ثم فعل وتحولت العصاحية لكنتُ أندهش من حيلة العامل ولكنى كنت أبقى على يقينى بأن أربعة أقل من عشرة الى آخر قوله . معناه أن لا تعلق بين البرهان والامر المبرهن واذ ذاك فلا يعد برهانا انتهى)

فاذا عرفت هذه المقدمة يمكن أن تفهم بغاية السهولة انه لا ارتباط بين ادعاء الرسالة والقدرة على الامور المستحيلة عادة اذ نفس ادعاء الرسالة لاتقتضى القدرة على الاشياء

التى هى من صفات المرسل . مثلا اذا ادعى رجل انه رسول من قبل السلطان لاجراء حكم أو تبليغ أمر أو نهى فنفس ادعاء الرسالة لا توجب ولا تقتضى أن يكون الرسول قادراً على أفعال السلطان ومتصفاً بأوصافه من قبيل القدرة على جرّ العساكر وفتح الحصون وقتل النفوس ونصب الوزراء وعزل الامراء وأمثالها . بل لو كان الرسول قادراً على بعض تلك الامور لا يظهره حين الاقتراح والطلب لعدم الارتباط والتعلق بنفس الادعاء مثلا اذا ادعى أحد أنه والى مملكة بنجاب من ممالك الهند من قبل ملكة انكلترا وعارضه قوم من الاهالى وطلبوا منه برهانا على صحة دعواه هو بالضرورة يستدل بفرمان الملكة وكتابها الذى أعطته اثباتا لمنصبه وحجة على ولايته . فلو فرضنا أن القوم ما أذعنوا لكتابه ولم يعتنوا بفرمانه بحجة انه يمكن أن يكتبه كل نفس ويختلقه كل شخص

وطلبوا منه آية من آيات الملوك أو فعلا من أفعال الامراء من قبيل حبس نفوس وقتل أشخاص ونصب آحاد وعزل أفراد كما هو معهود من شؤون الولاة والامراء ليذعنوا ببرهانه ويخضعوا لسلطانه هو بالبداهة لا يتنازل لاجابة مسؤلهم واسعاف مأمولهم ولا يستدل الا بكتاب الملكة ولا يتمسك الا بفرمان مالكة المملكة ولو كان قادراً على ما طلبوا منه من النصب والعزل والحبس والقتل . لان لهذه الامور أوقاتاً وأحوالا ومقتضيات ورجالا لا يمكنه ان يغيرها من قبله . أو يبدل شيأ منها من تلقاء نفسه . وهذا سر قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) فانه ليس ارسال الرسل وتشريع الشرائع الدينية فى عالم الروح الا كارسال الامراء ونصب الولاة وتشريع الشرائع الوضعية المدنية فى عالم الملك .

ومما قررناه يظهر جلياً ان قوله تعالى فى سورة الانعام (قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ) انما هو تعليم الدليل العقلي والبرهان الواضح على ان ادعاء الرسالة لا تقتضى ولا تستلزم القدرة على أمور غير ممكنة فى العادة فان من يدّعى مثلا انه يعلم الغيب يرتبط امتحانه فى معرفة غيب مخصوص بنفس المدّعى لان هذا الغيب المخصوص فرد من أفراد كلي معرفة الغيب الذى ادعاه المدعى وبينهما رابطة الكلية والجزئية ووجوب صدق الكلى على افراده . ومن يدعى مثلا ان له قدرة على خزائن السموات والارض يرتبط امتحانه فى ايجاد شئ مخصوص منها بنفس المدعى لما قلناه انه فرد من أفراد ذلك الكلى ولا بدّ من انطباق الكلى على افراده

وصدقه عليها . وأما الرسالة فليست كلياً لتلك المقترحات وصورة منتزعة منها فليس بينهما اذاً أدنى رابطة . فالمقصود من الآية المباركة ليس نفى القدرة بل نفى التعلق والرابطة بين ادعاء الرسالة والقدرة على ما هو فوق العادة . وكذلك الآية النازلة فى سورة الاسراء حيث قال جل وعلا (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً) فان ما أمر الله تعالى ان يقوله الرسول عليه السلام جوابا على مقترحات القوم ليس الا تصريحاً على ان ادعاء الرسالة لا تقتضى القدرة على المقترحات

المذكورة أعنى ان قوله عليه السلام (سبحانَ ربى هل كنتُ إلاَّ بشراً رسولا) انما ينفى الارتباط والتعلق بين الرسالة والقدرة على تلك المقترحات ولا ينفى القدرة عليها . اذ يمكن عقلا ان يكون الرسول قادراً على تلك الامور ولكن ادعاء الرسالة لا توجب ولا تستلزم اظهارها كما ان الوالى قادر على نصب نفوس وعزل آخرين ولكن لا ينصب ولا يعزل اثباتاً لولايته بل حين ما يجيزه القانون وتقتضيه الاعمال والاوقات .

اذا تقرر هذا وثبت ارتباط الكتاب بادعاء الرسالة فنقول ان للآيات الكتابية أى الوحى السماوى مزايا ظاهرة على الآيات الاقتراحية التى عبروا عنها بالمعجزات أو العجائب بوجوه

(المزية الاولى) ان الكتاب له دلالة أولية على صدق الدعوى لما أودع فيه من الهداية التى بسببها أرسل الرسل وبعث الانبياء وهى من

صفات الفعل بخلاف سائر المعجزات فانها اما منذرة الى الهلاك اذا صدرت بعد الاقتراح واما تدل دلالة ثانوية تأييدية اذا صدرت بلا اقتراح بسبب انها ليست من صفات الفعل ولا رابطة بينها وبين النبوة والرسالة كما سبق ذكره مبسوطا . قال القاضى العلامة محمد بن احمد بن رشد الاندلسى فى كتاب الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة بعد ما بسط الكلام فى هذه المسألة (ولما كان هذا كله انما فضل فيه صلى الله عليه وسلم لانه فضلهم فى الوحى الذى به استحق النبى اسم النبوة قال عليه السلام منبهاً على هذا المعنى الذى خصه الله به . (ما من نبى من الانبياء الا وقد أوتى من الآيات ما على مثله آمن جميع البشر وانما كان الذى أوتيته وحياً وانى لأرجو أن أكون اكثرهم تبعا يوم القيامة) واذا كان هذا كله كما وصفنا فقد تبين لك ان دلالة القرآن على

نبوته صلى الله عليه وسلم ليست مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى عليه السلام ولا احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص على نبوة عيسى عليه السلام وان كانت أفعالا لا تظهر الا على أيدى الانبياء وهى مقنعة عند الجمهور فليست تدل دلالة قطعية اذا انفردت لانها ليست من أفعال الصفة التى سمى بها النبى نبياً وأما القرآن فدلالته على هذه الصفة مثل دلالة الابراء على الطب . (الى آخر كلامه) والى هذه النكتة التى غفل عنها الاكثرون أشيرت فى الآية الكريمة النازلة فى سورة العنكبوت وهى قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) فهذه الآية تدل دلالة واضحة صريحة على مطالب مما ذكرناه فى هذه

المقالة (الاول) ان سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما استدل على اثبات صحة رسالته بالمعجزات حتى كان القوم ينادون على رؤوس الاشهاد ان محمدا اذا هو نبي حق ورسول صادق لم لم يعطه الله معجزات . (والثانى) ان اظهار المعجزات انما هو من شؤون الله تعالى . وفحواه انه ليس من شؤون الانبياء عليهم السلام اذ ليس شأن النبى الا الانذار (الثالث) ان الكتاب دليل كاف وبرهان واف على صحة دعواه وصدق قوله . ثم علل ذلك بان فى الكتاب وحده اودع الله الرحمة والهداية والذكرى والموعظة التى بسببها ارسل الرسل وشرعت الشرائع . بل ولها وضعت المعارف وانشأت المدارس اذ هى مرقاة المدنية . وسلم الصعود الى مدارج الانسانية . وقوادم العقل للطيران الى العوالم الرحيبة الروحانية .

{ والمزيّة الثانية } ان الكتاب من الآثار الباقية الخالدة بخلاف سائر المعجزات وخصوصاً المقترحات فانها من الآثار الزائلة البائدة .

{ والمزية الثالثة } ان الكتاب سهل التناول يمكن ان يرسل الى كل البلاد ليراه كل طالب ويتناوله كل قاصد . بخلاف سائر المعجزات فانها تختص بالحاضرين دون الغائبين . ولهذين السببين الاخيرين اى البقاء وسهولة التناول سمى الكتاب بالحجة البالغة لانه يمكن ان يرسل الى اقصى المعمورة ويبقى الى انقضاء الدورة . فهب ان عيسى عليه السلام احيي ميتاً او ابرأ ابرصا وانطق اخرساً وان سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شق القمر وانطق الحجر واطاعه النجم والشجر اين هذه الامور من الانجيل والقرآن وما اودع الله فيهما من النور والبرهان فان الكتاب يقرؤ فى كل ناد . ويشاهد فى كل قطر

ويراه كل رآء ويسمعه كل سامع ويتعظ به كل مستعد ويستفيد منه كل مستفيد لتبلغ الحجة وتكمل البيّنة الى ان ينقضى الاجل المسمى وتبلغ الحقائق الى الغاية القصوى وتستعد للظهور فى النشأة الاخرى .

(والمزية الرابعة) ان العلم والكتاب انما هو اشرف الاشياء ليكون حجة اشرف الخلق . وهذه المسألة من المسائل الضرورية بل هى فطرية غريزية لا تحتاج الى مزيد بيان او اقامة برهان اذ ليس شرف وراء العلم والعرفان . ومن المعلوم ان شرف الانسان بالعلم ومستودع العلم هو الكتاب وهذا معنى قوله تعالى قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالبَصِيرِ افَلاَ تَتَفَكَّرُونَ وقوله تعالى قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ . والى هذا اشير فيما جاء فى اوّل كتاب الحجة من كتاب الكافى عن ابى عبد الله جعفر

ابن محمد احد أئمة اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله زنديق بم أثبتّ الانبياء . فقال . لما أثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشرونه ويحاجهم ويحاجونه ثبت ان له سفراء فى خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناؤهم فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبرون عنه جل وعزّ وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب فى شيء من أحوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك فى كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم

يدل على صدق مقالته وجواز عدالته . (الى آخر كلامه) وفى هذه المقالة الشريفة ملامح الولاية وصبغة وراثة النبوة والرسالة حيث خصص امتياز سفراء الله عن سائر الخلق بالعلم والحكمة من دون اشارة الى ما عند القوم من دلائل المعجزات وخوارق العادات

(والمزية الخامسة) ان خاصية طلب المعجزات واقتراح الآيات ضد خاصية ارسال الرسل وبعث الانبياء بالخط المستقيم . لان الفائدة الكبرى والسبب الاعظم لارسال الرسل وتشريع الشرائع انما هي أولا ابتلاء العباد وتمحيص الافئدة وتخليص القلوب لتمييز الخبيث من الطيب والفاجر من البار والكافر من المؤمن والشاك من الموقن ولتحقق الكينونات وبروز الحيثيات . فان أراضي القلوب وأشجار الكينونات قبل ظهور الانبياء ونزول الآيات ساكنة هادئة ساكتة هامدة فاذا أنزل الله

ماء الوحي وهطلت من غمام الالطاف أمطار الآيات اهتزت كل أرض وربت وأنبتت وبسقت كل شجرة وأورقت وأزهرت . فتظهر الحقائق المكنونة . وتبرز الآثار المخبوأة . فيعلم الجيد من الردي والصالح من الفاسد والطيب من الخبيث وهكذا يتم التمحيص ويتحقق التخليص كما وُعدنا في الصحف الاولى بغاية التصريح والتنصيص .

وأما اقتراح الآيات على الانبياء وطلب المعجزات منهم . انما هو عبارة عن امتحان نفس الانبياء وتجريبهم . بل هو عين ابتلائهم وتخليصهم . وهو كما قلنا ضد فائدة ارسال الرسل ونقيض خاصية بعث الأنبياء . بل هو عين التكبر على الله والمكاشفة لارادته والمضادة لمشيئته والمعاكسة لحكمته . وهذا كما قلنا آنفا ينذر الى الهلاك والدمار . ويوجب الذلة والبوار . فتذكر قوله تعالى وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً وهذا هو

المقصود مما ورد في التوراة المقدس (لا تجرّب الرّب) وهذا هو المراد مما جاء في الانجيل الشريف (ان الجيل الفاسق الشرير يطلب الآيات) ومن تصفح أحوال طبقات الناس أوان ظهور الانبياء وبدء النشأة الدينية يرى أن الطبقة العليا من المؤمنين كتلامذة عيسى عليه السلام وأصحاب سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ماجربوا مظاهر أمر الله وما اقترحوا عليهم آية بل أذعنوا لظهور سلطانهم وسطوع برهانهم . أو بتلاوة آياتهم ونفوذ كلماتهم فآمنوا وأيقنوا وماشكوا ولا ارتابوا فقاموا بهذه القوة التي ليست وراءها قوة على نصرة دين الله ونشر أمره وانفاذ كلمته واعلاء ذكره فاخرجوا أمما من الظلمات الى النور وأدخلوا أقواما من الشرك الى التوحيد وهدوا شعوبا من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن . فابقوا آثارا باهرة وأعمالا ظاهرة مما لا يشك

فيه بصير ولا يرتاب فيه خبير . وأما الذين طلبوا المعجزات واقترحوا الآيات . وجربوا رسلهم بالخرافات جُربوا قبل أن يجرّبوا وامتُحنوا حينما أرادوا أن يمتحنوا . فما آمنوا ولا أذعنوا بل تمادوا بكفرهم وعموا فى غيهم فهلكوا فيمن هلك من الغابرين . وبقيت قصصهم مثلا وعبرة للآخرين

هذه هى بعض مآثر الكتاب ووجوه رجحانه على سائر المعجزات من المقترحات وغير المقترحات . تلوناها عليك بمقدار ما أفاض علينا ربنا من غمام فضله . وأنعم به علينا من بحار علمه . ومنها يعلم سبب امتناع سيدنا عيسى عليه السلام عن اجابة اليهود حينما اقترحوا عليه الآيات وطلبوا منه المعجزات كما نقلناه عن الاصحاح الثانى عشر والسادس عشر من انجيل متى . وأمثاله كثيرة فى مواضيع أخرى . وأما القرآن الشريف

ففيه من الآيات الصريحة فى الامتناع عن اظهار المعجزات ووخامة عواقب اقتراح الآيات مالا يمكن الاتيان بجميعها فى هذه الوجيزة فنتلوا بعضاً منها على أرباب الاذواق السليمة . وأصحاب الآذان الواعية والقلوب الفهيمة . لعلهم يعرفون معنى البيّنات . وينتهون الى خطارة اقتراح المعجزات ووخامة عواقب طلب الآيات . منها قوله تبارك وتعالى فى سورة الاسراء ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ ومن تدبر فى هذه الآية الكريمة يرى أن فيها تصريحا غير قابل للتأويل ان الله تعالى أبى وأمتنع أن يظهر المعجزات بسبب ان الاولين كذبوا بها وأنكروا معجزات الانبياء فاهلكهم الله تعالى بتكذيبهم وأبادهم بانكارهم كما

أن ثمود ظلمت بالناقة وكفرت بهذه الآية
فاهلكت وأعدمت . ثم علل هذه النكتة بان الله
تعالى لا يرسل بالآيات الا انذارا بالهلاك وأشعارا
بالدمار ويشعر بهذه النكتة أيضا قوله تعالى فى
سورة الانعام (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ
بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ . قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) ومن المعلوم ان ما يستعجله كفار
مكة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما
هو ان يظهر لهم آية كما هو الشأن عند ظهور كل
نبي أو رسول أو داع الى الله فانه لم يظهر رسول
الا وأول ما يقترحه الناس عليه هو اظهار معجزة
من غير أن يلتفتوا الى دليليتها وعدم دليليتها فاذا
أبى الرسول اجابة مسؤلهم يصرون على الطلب

ويظهرون اللجاج فى الاقتراح كما يدلك عليه قوله
تعالى فى سورة الانعام (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ
عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ
وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّنَا
نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ
كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) . فان اكابر العرب
لما ظهر النبي عليه السلام وجرى بينه وبينهم من
المناظرات مايعرفه الخواص والعوام كانوا يحلفون
أشد الحلف ويقسمون باعظم الايمان ويقولون
والله الحى القديم وبالله الحق العظيم لو أظهر محمد آية
أى معجزة لنؤمنن به وكرروا الحلف وأصروا على
اليمين فاجابهم الله تعالى بان الآيات عند الله يعنى

انه تعالى قادر على اظهار المعجزات الاّ انّه لو أظهر معجزة لا يؤمنون بها لانه تعالى يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويتركهم فى حال العمه والترديد مثل حالهم قبل صدور المعجزة المطلوبة فيمتنعون عن الايمان والاذعان كامتناعهم قبل ظهور البرهان • وسبب ذلك ماقلنا ان المعجزات لادلالة لها ذاتا على الرسالة والنبوة • ولارابطة بين ادعاء النبوة والقدرة على ماهو خارج عن الامكان فى العادة • الاّ أن الناس باجمعهم الا قليلا ممن أيقظ الله فؤاده بروح النباهة وأوقد فى مشكوة قلبه مصباح اليقظة كانوا غافلين عن هذه النكتة • جاهلين بعدم الارتباط بين الرسالة والقدرة على اظهار المعجزة غريقين فى بحار الاوهام الموروثة عن الجاهلية القديمة • ولذا كانوا يقترحون المعجزات على رسلهم بلا تروّ ولا تأمل أوّلا فلو فرض ان النبي أجاب مسؤولهم وأظهر

لهم الآية المطلوبة والمعجزة المقترحة ينتبهون بفطرتهم الى عدم الدلالة وفقدان الرابطة فينكرونها ويكذبون بها ويحملونها أما على السحر والشعوذة أو غيرها من الامور الموهومة الباطلة فيتحتم حينئذ عليهم الهلاك وينزل عليهم العذاب لما نقضوا من ايمانهم وحنثوا فى حلفهم ونكثوا من عهودهم كما أخبرنا عن الامم الغابرة الجاحدة • والملل الداثرة البائدة • وهذا معنى ماعلل الله تعالى عدم ايمانهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم أى تبديل أفكارهم وأنظارهم وتغيير مجارى ادراكهم وأشعارهم • فاذا قلب الله تعالى أفئدتهم وأبصارهم الى الالتفات بعدم الدلالة لفقدان الرابطة بقوا ولاشك فى حالتهم الاولى من الشك والترديد • اذ ليس الايمان الا اطمئنان القلوب ولا يطمئن القلب الا بالبرهان المرتبط • ولا ارتباط بين الرسالة وما كانوا يطلبون فصح ان الله تعالى يذرهم فى طغيانهم يعمهون أى يترددون

. ثم ان الله تعالى أخبر رسوله الكريم عليه السلام
انه لو أظهر المعجزات الهائلة . والآيات الكبيرة
الخطيرة من قبيل نزول الملائكة الى هؤلاء وقيام
الموتى وتكلمهم مع الاحياء وحشر كل شيء ظاهرا
عيانا على تلك الامة العمياء الا يؤمن الكفار بها
أى لا تؤثر هذه المعجزات فى هدايتهم . ولا تنجيهم
من ضلالتهم لان الهداية موقوفة بارادة الله تعالى
ومشيئته وموكولة الى اذنه وقدرته لا الى ظهور
تلك الآيات . ورؤية شيء من المقترحات . وسببه
ظاهر عند أهل البصارة لان الهداية والضلالة
تابعتان لما أكتسبته القلوب فى النشأة الاولى
والديانة السابقة من الرقة والقسوة والنور والظلمة
والنقاوة والكدورة لما قررناه ان الديانات باجمعها
شرعت باذن الله . وأنشأت وحفظت وبقيت الى أمد
معلوم وأجل مسمى بكلمته . وكلها طرق للوصول الى
الغاية القصوى وأبواب للدخول فى الجنة العليا

فالتخطى عنها بالضرورة يوجب الضلالة والسلوك
فيها يوصل الى الهداية . فلا تجزى نفس الا بما
اكتسبت يداها فى طىّ هذا البرزخ البعيد
والامد المديد وما ربك بظلام للعبيد . ومنها قوله
تعالى (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ
لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ
يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا
عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا
مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ
وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الارْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ
بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الجَاهِلِينَ) هذه الآيات الكريمة نزلت حينما
كانت الاخزان أحاطت برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واشتدت به الاحوال وضاقت عليه

المذاهب من كثرة ما اقترحوا عليه من المعجزات وكذبوا واستهانوا بالآيات حتى كانوا ينسبون آيات القرآن الى الشعر والافتراء وأساطير الامم الاولى وحتى غلا بعضهم فى التثريب وبالغ فى التكذيب وقال ودعا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مشعراً بانه قاطع مستيقن فى تكذيبه غير شاكٍّ وغير مريب فى انكاره . فانزل الله تعالى هذه الآيات تسلية لنبيه عليه السلام مشعرة بانه جلَّ وعلا يعلم مقدار ما أحاطت به من الاحزان واستولت عليه من الاشجان . ونبأه بان هؤلاء الظالمين لا يكذبون رسول الله بل هم فى الحقيقة يجحدون بآيات الله مشيراً الى ان تكذيب الرسول كانه ليس بشئ فى مقابل جحود الآيات ومعارضة الكتاب . وفيها من شديد التهديد ومخيف الوعيد مالا يخفى على ذى النظر الثاقب والبصر الحديد

فانه مامن جبار انكر الكتاب واستهان بالآيات وجاحد بالبينات الا وقصم الله ظهره وفلّ حده وكسّر أنيابه . وأذل اعقابه . فقطع دابره وأهلك ناصره حتى تضرب به الامثال ويعتبر به فى القرون والاجيال . ثم ذكّر نبيه عليه السلام بمن مضى من كبار الانبياء وسبقه من البررة الاصفياء بانهم كُذّبوا واوذوا قبله فصبروا على مضض البلاء وتحملوا شدائد الابتلاء حتى اتاهم نصر الله وغلبوا على اعداء الله . فلا بدّ له أن يصبر كما صبروا ويتحمل الاذى كما تحملوا . لان كلمة الله لا تتبدل وسنته فى كيفية أرسال الرسل وتشريع الشرائع لا تتغير . ولقد اخبره الله تعالى بقصص الاولين وحكايات السابقين ليكون على بصيرة من امره وواثقاً بربه ومتيقناً بغلبته ونصره . ثم خرج من مقام التسلية والتعزية الى مقام التشديد والتنديد فقال جل ذكره وجلّت عظمته ما معناه انه لو صعب عليك الصبر على

تكذيب الكفار وأستهزاء الاشرار فاطلب ان
استطعت نقباً فى الارض أو سلما فى السماء لعلك
تظفر بمعجزة وتاتيهم بآية ليسكتوا عن تكذيبك
ويكفوا عن مخاصمتك • ثم نبه رسوله الكريم بان
الله تعالى لو شاء لمكنه أن يجمعهم على الهدى
ويهديهم جميعاً الى شريعته المثلى • اليس الذي هدى
وجهاء العرب وزعماء القبائل الى محجة الايمان
وموهبة الاذعان مع ماهم معروفون به من شدة
العصبية والانفة العربية والنخوة البدوية والصلابة
الجاهلية قادراً على هداية الجميع • اليس الذى بدّل
عداوة الأوس والخزرج بالاخوة الدينية والمحبة
الروحانية بعد ما اهرق بينهم من الدماء ورسخت
فيهم العداوة والبغضاء قادراً على جمع كلمة العرب
على الايمان وترك الخصومة والعدوان • ولكن
لو فعل لبطل حكم التمحيص والتخليص ولا يفرق
بين الطيب والخبيث ولضاعت فوائد الامتحان

والابتلاء وخفيت حقائق الاشياء • وخلاصة القول
أنه لو تدبر بصير فيما أودع الله تعالى فى هذه
الآيات المذكورة من التسلية والتعزية والحث على
الصبر والتذكر بما وقع فى الامم الماضية والملل
السابقة ثم التوبيخ والتنديد فى حب اظهار المعجزة
لكفاه علما بمواقع الآيات ونتائج طلب المعجزات
كما هو معلوم عند اولى الالباب ومن عنده علم
الكتاب •

ومنها قوله تعالى فى سورة البقره وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ • يعنى قال الذين لا يعلمون
معنى الدليل والبرهان ولا يعرفون نتائج طلب
المعجزات وتأثير المقترحات لو كان محمد رسولا من
الله لِمَ لا يكلمنا الله تعالى كما كلم بنى اسرائيل فى ايام